الباب الأول

الباب الأول

الفصل الأول : الإسلام دين الحب .

الفصل الثاني : الإسلام دين الأخلاق .

الفصل الثالث : الإسلام دين العلم .

الفصل الرابع : الإسلام دين التقوى .

الفصل الخامس : الإسلام دين الحرية .

الفصل السادس : الإسلام دين الإخلاص .

الفصل السابع : الإسلام دين الشورى .

الفصل الثامن : الإسلام دين المساواة .

الفصل التاسع : الإسلام دين الإخاء .

١- الإسلام دين الحب

الإسلام دين الحب

تُحاول الأمم دائمًا أن تجد وسيلةً توصِّلها إلى مجتمع متحاب متعاون يشعر أفراده بعلاقة قويه بينهم ، يتفقون فى العقيدة والفكر والطريق والهدف وتحاول جاهدة ، أن تشحذ أفكار العلماء ، أو تستخلص نتائج الدراسات والتجارب ، ولكنها رغم كل إمكانتها لم تستطع الوصول إلى ذرة من أمل ، ولكن مدداً واحد من مبادىء الدين الإسلامى يقرُّ هذه الأمنية التى يحلم بها مفكرو هذا العالم .

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

أخوة فى الإسلام ، أخوة فى العقيدة ، تجعل الفرد يشعر أنه جزء من أخيه يتوقف إيمانه على حبه وإيثاره ، وليس حبا معتادا أو إظهار شعور وعاطفة ، ولكنه حب متمكن يساوى محبة الفرد لنفسه ولا شىء فى الدنيا أحب إلى الإنسان من نفسه (١) .

فالحب هو الذى يبنى المجتمعات ويزرع الثقة ، ويدفع للعطاء ، ويجعل الناس يتعاطفون مع بعضهم بعضا بعد أن جعلهم يحسون بقيمتهم الإنسانية وقيمة الإنسان من حولهم ، وإذا تحاب الناس وتآلفوا تكونت بينهم علاقة المحبة الأخوية علاقة الإحترام والثقة ، تلك العلاقة التى يعتمد عليها الإسلام فى تغيير الناس وإنما شخصياتهم ، لذلك اختفى الإسلام بروابط الصداقة النقية ووشائج الحب الصادق وطالب بالحرص عليها لله وفى الله ، وجعلها إحدى خصال ثلاث يُدرك بها المسلم حلاوة الإيمان ولذته ، قال ﷺ :**(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار)** (٢).

---

(١) عبد العزيز المسند ، غذاء الروح ، صـ١٢ .
(٢) حديث صحيح .

ويقول الله فى الحديث القدسى (المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى) . وهذا ثواب الله وأجره فى الآخر للمتحابين (١) .

وقال ﷺ :(إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا : يا رسول الله فخبرنا من هم ؟

قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) .

لذا يرى ابن تيمية أن من شروط الإيمان التحاب والتواد / وأن تحب لأخيك ما تُحب لنفسك ، والمحبة والمودة التى بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى ، فإن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ، فالحب لله من كمال التوحيد ، والحب مع الله شرك ، **قال تعالى :-** ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله﴾ (٣) .

ومن أحب الله أحبه الله ، ومن ود الله وده الله ، فَعلِمَ أن الله أحبهم وودهم بعد التوبه كما أحبوه وودوه ، بل يدل كل من الكتاب والسنه على أن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين (٤) .

---

(١) كمال محمد عيسى ، " العقيده الإسلامية سفينه انجاه" صـ ٤٩٨ .
(٢) أبو داود .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٦٥ .
(٤) فتاوى ابن تيميه الحره الثانى صـ ٢٩٠

إن المجتمع المتحاب بحب الله المُلْتَقِى على شعائر الإسلام ، يعتمد فى بنائه ونمائه على المحبة الصادقة والمودة المخلصة ، فهى أقوى الدعامات التى يرتفع عليها البناء ويتم بها النماء . وقد رأينا كيف كانت أواصر المحبه فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة ، وأقامت دولته ورفعت رايته ، وعليه إعتمد رسول الله ﷺ فى تأسيس أمة قوية كانت خير أمة خرجت للناس.

ومحبة الله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلا وما عداها من الشوق والأنس والرضا تابع المحبة . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ اللهِ ﴾(٢) .

وفى الحديث الشريف "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**"

وفى الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت حين جاء ليقبض روحه : هل رأيت خليلا يُميت خليله ؟

فأوحى الله تعالى إليه : فهل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال يا ملك الموت والآن اقبض روحى .

وقال رسول الله ﷺ "**اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك وحب ما يقربنى إلى حبك**" (٣) .

---

(١) سورة البقرة آيه ١٦٥ .
(٢) سورة المائدة آيه ٥٤ .
(٣) الإمام الغزالى :"مختصر احياء علوم الدين" صـ ٢٥٣ .

"وفى أخبار داوود عليه السلام أن الله تعالى قال : يا داوود بلّغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى ، وجليس لمن جالسنى ، ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ، ما أحبنى عبد – إعلم ذلك يقينا – من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحببته حبًا لا يتقدم عليه أحد من خلقى"(١).

إن محبة المسلم الصادقة ، ومودته المخلصة لإخوانه فى الإسلام ما هى إلا دليل على محبة الله ومودته ، لأن الله إذا أحب عبدًا من عباده جعله محبوبًا من كل الناس ومحبا لهم .

ومن أحب الله وأخلص فى محبته لا يشرك أحدًا فى محبته ، يكون مخلصا فى طاعته ومقرا بكمال عبوديته ، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له ، التى هى أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو حقيقة الإسلام ، والمقصود أن حقيقة العبودية وموجباتها لا تخلص مع الإشراك بالله فى المحبة ، بخلاف المحبة لله فإنها من لوازم العبودية وموجباتها ، فإن محبة رسول الله ﷺ بل تقديمه فى الحب على من سواه (على الأنفس ، وعلى الآباء والأبناء) لا يتم الإيمان إلا بها ، إذ أن محبته .. إذ أن محبته من محبة الله وكذلك كل حب لله وفى الله .. قال ﷺ "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمال الإيمان" .

وفى حديث آخر ما تحاب رجلان فى الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه" فإن هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها (٢) .

هذا هو الحب الذى ننادى ببعثه من جديد بعد أن أصبح سلعة نادرة وعمله غيرُ متداوله . ولو تحاب الناس وتعاونوا وأصبح كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لعاد للإسلام سالف مجده ولأصبح المسلمون من جديد خير أمة أخرجت للناس.

---

(١) الإمام العراقى : نفس المصدر صـ ٣٥٧ .

(٢) ابن قيم الجوزية "الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى " صـ ٥٥

لقد ميز "ا ن قيم الجوزيه"بين أربعة أنواع من الحب عندما قال :" وهناك أربعة أنواع من ا حب يجب التفريق بينها : (أحدهما) محبة الله ، ولا تكفى وحدها فى النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله .

(والثانى) محبة ما يحب الله وهذه هى التى تُدْخِله فى الإسلام وتُخْرِجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها .

(والثالثة) الحب لله وفيه وهى من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

(والرابع) المحبة مع الله ، وكل من أحب شيئًا مع الله لا من أجله ولا فيه ، فقد إتخذه ندا من دون الله وهذه محبة المشركين .

وبقى قسم (خامس) ليس مما نحن فيه وهى المحبة الطبيعية وهى ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه ، كمحبة العطشان للماء ، والجائع للطعام ، ومحبة النوم والزوجة والولد ، فتلك لا تُذَم إلا أن أَلْهَتْ عن ذكر الله وشغلته عن محبته(١).

كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ (٢) وقال تعالى :﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ (٣) .

لما سأل إبراهيم عليه السلام الولد فأُعطِيَهُ فتعلق حبه بقلبه فأُخِذَ منه شعبة غار الحبيب على خليله أن يكون فى قلبه موضع لغيره ، فأمر بذبحه وكان الأمر فى المنام ، ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاء وامتحانا ، ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه لَيَخْلُصَ القلب للرب ، فلما بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرُفع الذبح وفُدى بذبح عظيم (٤) .

---

(١) ابن قيم الجوزيه "الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى " صـ٢٥٦ .
(٢) سورة المنافقون ٩
(٣) سورة النور ٣٧
(٤) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى صـ ٢٥٧

وأخص علامات المحبة حبك لله وما يحبه فإن ذلك يدل على حب الله لك ، وأما الفعل الدال على كونك محبوبًا فهو أن يتولى الله تعالى أمرك باطنه ، سره ، وجهره ، فيكون هو المشير عليك والمدبر لأمرك ، والمُزَيِّنُ لأخلاقك والمُستعمل لجوارحك ، والمُبغِّض للدنيا فى قلبك والمُوحِشُ لك من غيره ، والمؤنس لك بلذة المناجاة فى خلوتك ، والكاشف لك عن الحجب بينك وبين معرفته ، وكلها حب لله تعالى للعبد .

أما علامات محبة العبد لله تعالى ، حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه، وحب رسول الله ﷺ وحب كل ما ينسب إليه ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام :قد كذب من ادعى محبتى: إذا جنّ الليل نام عنى ، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى .

وقال يحيى بن معاذ : من لم تكن فيه ثلاثُ خِصال فليس بمحب ؛ يُؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق ، ويُؤثر العبادة على خدمة الخلق ، فمن تمت فيه محبته وخَلُصَ حبه ، فصفا فى الآخرة شرابه وأعلم أن جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ، وما يتحلى به العبد من التقوى فهو ثمرة الحب (١).

هذا هو الحب الذى تنادى ببعثه من جديد ، بعد أن أصبح سلعة نادرة وعملة غير متداولة ولو تحاب الناس وتعاونوا وأصبح كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه لعاد للإسلام سالف مجده ولأصبح المسلمون من جديد خير أمة أخرجت للناس .

(١) محمود عرض : صفوة إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ط القلوب صـ ٨٠

٢- الإسلام دين الأخلاق

الإسلام دين الأخلاق الكريمة

إذا حَسُنَتْ الأخلاق ، وطهُرَتْ الأذواق ، وصَلُحَتْ النفس وتعودت المبادىء الإسلامية الحقة ، وصارت لها مبدأ وعقيدة تمارس بالقول والعمل ، كان أصحابها قدوة لمن يسمع قولهم ويطيع أمرهم .

فالإنسان ليس مجرد جسد يأكل ويشرب ويتمتع كما تأكل الأنعام ، فالجسد ليس إلا غلافا علوى ، يشير إليه قوله تعالى فى خلق آدم "فإذا سويته ونفخت فيه من روحى" وهذا الروح العلوى هى الشىء الذى ميز الإنسان وجعله أهلا للتكريم والخلافة فى الأرض .

والدين الإسلامى هو الذى يدرك هذه النظرة الإنسانية ويُقدِّرُهَا حق قدرها ، ويُهيىء لها الغذاء الملائم والمناخ الصالح ، حتى تنمو وتزدهر ، وتُثمر بإذن ربها ، وذلك بممارسة المبادىء الإسلامية التى تركز كل اهتمامها على الجانب الروحى والأخلاقى، وعلى رأسها مبدأ الخلق الكريم .

لقد بلغت أهمية هذا المبدأ الإسلامى العظيم أن الرسول ﷺ كان يقول فى دعائه "اللهم كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فحسن خُلُقِي ، اللهم جنبنى منكرات الأخلاق ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت" (١) .

وقد سأل رجل رسول ﷺ عن حُسن الخلق فتلا **قوله تعالى** ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ (٢) .

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، الجزء الرابع صـ: ٢٤٦

(٢) سورة الأعراف ١٩٩

ثم قال ﷺ :"**هو أن تصل من قطعك وتُعطى من حرمك وتعفو عن من ظلمك**".

كما عرفه الحسين قائلاً :"حُسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى وكف الأذى" وقال على رضى الله عنه :"حسن الخلق فى ثلاث خصال :إجتناب المحارم وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال"

وقال الواسطى :"هو إرضاء الخالق فى السراء والضراء"وعن عائشة رضى الله عنها قالت :قال رسول الله ﷺ :"**إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، وقال ، وقال إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**"

وفى حديث أبى ذر الذى رواه الترمذى وصححه "**وخالق الناس بخُلُقٍ حسن**" وعن ابن عمر مرفوعا سُئِل رسول الله ﷺ **أى المؤمنين أفضل قال : أحسنهم خُلُقًا**" (١).

قال الحسن البصرى "حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى واحتماله وطلاقة الوجه" رواه الترمذى (٢).

وللرسول ﷺ فى ذلك أحاديث كثيرة منها قوله "**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم بالليل الظامىء بالهواجر**"

وقوله :"**من سعادة المرء حُسن الخُلُق**"

وقوله :"**أكثر ما يُدخِل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخُلق**" (٣).

---

(١) رواه ابن ملجه

(٢) الحسنة اليانعة والبروق اللامعة صـ ٢٥٩ .

(٣) كنز العمال فى سنن الأقوال الجزء الثانى صـ ٣ .

ومن يتصف بمكارم الأخلاق وما يتصل بها من صفات ، هو القادر على حب الناس ، المتفانى فى خدمتهم يَحِبُّ لهم ما يحب لنفسه حبا لله وفى الله ، وعندئذ يسود الحب ، ويعم الود وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح من جديد خير أمة أُخرجت للناس .

لقد كان النبى ﷺ شغوفًا بمكارم الأخلاق شغفه بتبليغ الرسالة ، وبطاعة الله وتقواه فكان المثل الأعلى فى كل فضيلة ، وكان خليقا بثناء الله سبحانه وتعالى عليه فى كتابه الكريم فى قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

وقوله :" فبما ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٢) .

وحسبنا من وصف أصحابه له ، قول على ابن أبى طالب :"إنه كان أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس قلبا ، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عِشْرَةً ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه"(٣) .

وبلغ من شدة إعجابه بمكارم الأخلاق أنه أطلق من السبى بنت حاتم الطائى مكافأة لكرم أخلاق أبيها ، فإنها جاءت إلى النبى ﷺ فى سبايا طىء ، فقالت : "يا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الدمار ويفك العانى ، ويُشبع الجائع ، ويُطعم الطعام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى "فقال النبى ﷺ : يا

---

(١) سورة القلم (٤)
(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٣) ابن هشام السيرة النبوية صـ ٧٢ .

جارية، هذه صفة المؤمنين حقًا . لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق" فقام أبو بردة بن دينار فقال :"يا رسول أألله ، الله يحب مكارم الأخلاق؟"

فقال الرسول ﷺ : **"والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق"** (١) .

والذى يُفهم من هذه الأحاديث وغيرها أن الرسول ﷺ ربط الأخلاق الفاضلة بالتدين والتقوى أوثق رباط ، وقد جاءه رجل فوقف بين يديه وقال : "يا رسول الله ما الدين ؟

فقال النبى ﷺ :"**حُسْنُ الخلق** " فأتاه من قِبَلِ يمينه فقال يا رسول الله ما الدين ؟ قال :"حسن الخلق" فأتاه من ورائه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

فالتفت إليه الرسول وقال :"أما تفقه ؟ هو ألا تغضب"

هذا هو النبى الذى اصطفاه ربه وكَرَّمَه وتعهده فى طفولته وشبابه إلى أن إختاره ليكون مبشرا ونذيرا ، فرباه أشرف تربيه . وأدبه أحسن تأديب ، لقد كان القرآن الكريم ينبوع أدبه ومنهل أخلاقه ووسيلة تربيته . قال سعد بن هشام :"دخلت عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، قالت : كان خلقه القرآن " (٢) .

وكما اهتم الإسلام كل هذا الإهتمام بمبدأ مكارم الأخلاق فقد نهى عن سوء الخلق ، ونَفَّر مِنْهُ ، وكما كان الرسول ﷺ شغوفا بمكارم الأخلاق ، فقد فُهِمَ من أحاديثه أن سوء الخلق يمحق الحسنات ، ويُبطل الطاعات ، فقد قيل له :

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) احياء علوم الدين ، الجزء الثانى صـ٢١٣ .

"إن فلانه تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال :"لا خير فيها هى من أهل النار" وقال:"سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخل العسل" وقال :"إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم"(١).

ومن يتصف بمكارم الأخلاق وما بها من صفات هو القادر على حب الناس، المتفانى فى خدمتهم ، المحب لهم ما يحبه لنفسه، حبًا لله وفى الله وعندئذ يسود الحب ، ويعم الود وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس .

لقد جمع العلماء بعض علامات حُسْنُ خُلُقِ ، فقالوا : إن حُسن الخلق هو أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام كثير العمل ، قليل الذلل ، قليل الفضول ، برًا ، وَصُولاً ، وقورًا ، صبورًا شكورًا ، رضيًا حليمًا ، رقيقًا ، عفيفًا ، شفيقًا ، لا لعانًا ولا سبابا ، ولا نمَّامًا ، ولا مغتابا ، ولا عجولا، ولا حقودا ولا بخيلًا ، ولا حسودا ، بشاشا هشاشا ، يُحب فى الله ويُبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويغضب فى الله ، فهذا هو حُسْنُ الخلق (٢) .

وقال يوسف بن أسباط : علامة حسن الخلق عشر خصال:"قلة الخلاف ، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام لمن دونه من قومه ."

---

(١) إحياء علوم الدين الجزء الثالث ، صـ ٤٣ .

(٢) عفيف عبد الفتاح طباره :"روح الدين الإسلامى " الطبعة السادسة صـ٩٩ .

ومن حُسْنُ الخلق أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتكرم ضيفك ، وتكرم جارك وتقول خيرًا ، أو تصمت قال رسول الله ﷺ "**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقًا**" (١).

ولما كانت صفات المؤمنين هى ثمرة حُسْن الخُلق ، وصفات المنافقين هى ثمرة سوء الخلق . فقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز ، وإليك بعض ما جاء من علامات حُسن الخُلق . قال تعالى:﴿ **التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ**﴾ التوبة

وقال تعالى:﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۞ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۞ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾ الفرقان

فمن أشكل عليه حاله فلْيعْرِض نفسه على هذه الآيات فإن وجودها جميعًا عند العبد علامة حسن الخلق وفقدها جميعًا سوء الخلق (٢) .

ولما كانت الأخلاق تتأثر بعوامل ثلاثة هى :-

الوارثة والبيئة ، والعادة : فإن الإسلام قد اهتم بهذه المحاضن التى يولد فيها الخُلق ، وتتربى فى أكنافها العواطف ، سواء كان هذا الخلق طبيعيًا : وهو ما يكون الإنسان مفطورعليه كالحياء، والشجاعة عند بعض الأطفال .

---

(١) رواه أبى هريرة لحمد فى مسنده وأبو داود ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه

(٢) محمود عرص ."صعوة إحياء علوم الدين (طب القلوب) ، مكتبة محمد على صبيح القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤ ، صـ ١١٩

قال رسول الله ﷺ للمنذر بن عائذ : إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة (١) فقال يا رسول الله ، كانا فيّ أم حدثا ؟ قال : بل قديم : فقال الحمد لله الذى جبلنى على خُلقين يحبهما ، أما الخُلُق المكتسب : فهو ما يُرَبَّى عليه الإنسان قال تعالى :﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(٢). وقد اهتم الإسلام بكل محضن من هذه الثلاثة إهتمامًا بالغا ، ليجعل منها مناخا صالحا للخُلُق الفاضل والسلوك المستقيم (٣) .

فالوراثة تُعتبر من العوامل المؤثرة على شخصية الإنسان وكلما نشأت الشخصية فى بيئة أسرية صالحة إتصفت بأحسن الصفات ، ولما كانت المرأة حديقة غرس الرجل ومنجبة أولاده ، وعنها يرثون الكثير من الصفات الحسنة : كلون العين والبشرة، والعقلية كالذكاء ، والأدبية : كالميول والأمزجة ، حدد الرسول ﷺ صلاحها : بالجمال .. والأمانة .. والطلعة .. والإستقامة .. والتودد لزوجها .. وأن تنجب له من يعبد الله (٤) .

قال رسول الله ﷺ :"الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"(٥). وقال خير النساء من إذا نَظَرْتَ إليها سَرَّتك ، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك"(٦) .

---

(١) المسلم والترمذى ، كلاهما عن ابن عباس (حديث صحيح) .
(٢) سورة الرعد ١١
(٣) العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ، مرجع سابق ذكره صـ ٥١٤
(٤) العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ، صـ ٥١٧
(٥) رواه عن ابن عمرو أحمد فى مسنده ومسلم والنسائى (حديث صحيح)
(٦) للطبرانى فى الكبير عند عبد الله بن سلام (حديث صحيح)

ولذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بالمرأة كأهم عامل وراثى مؤثر ، وقد نص عليها القرآن الكريم فى صورة واضحة صريحة.

وقال تعالى :"﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (١) .

والمرأة المؤمنة هى القادرة على التنشئة الإجتماعية السليمة والتربية الصالحة من ناحية ، وكعامل وراثى له تأثير على الخلق الطبيعى الذى يكون الإنسان مفطور عليه من ناحية أخرى .

وهكذا يهتم الإسلام بسلوك الإنسان وأخلاقه حتى قبل أن يولد بإهتمامه وتأكيده على اختيار الزوجة الصالحة ذات المنبت للحسن، والزوجة هى التى يتشرب منها الأبناء الخصال الطيبة والصفات الخلقية الكريمة . فإذا صَلُحَتْ المرأة صَلُحت الأخلاق ، وعندئذ يرتفع بناء المجتمع على دعائم قوته من مكارم الأخلاق .

ومن يتصف بمكارم الأخلاق ، وما بها من صفات يكون قادرا على حب الناس ، المتفانى فى خدمتهم المحب لهم ما يحب لنفسه حبًا لله وفى الله ، وعندئذ يسود الحب ويعم الود ، وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح خير أمة أُخرِجَتْ للناس .

---

(١) سورة البقرة ٢٢١

٣- الإسلام دين العلم

الإسلام دين العلم

إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ولن يجد هذا الدين مستقرا له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة ، والألباب الحصيفة فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة التى تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين ، وتهبط أو تنعدم فيها نسبة الجاهلين .

ذلك لأن حقائق هذا الدين من أصول وفروع ليست طقوسا "تُنقل بالوراثة ، أو تعاويذ تشيع بالإيحاء ، وتُنشر بالإيهام ، إنها حقائق تُستخرج من كتاب حكيم ومن سنة واعية ، وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة ، بل لابد من أمة تتوافر فيها الأفهام الذكية والأساليب العالية ، والآداب الكريمة .

ولا شك أن مُدارسه مناهج الإسلام ، تخلق فى أى أمة تُحْسَن بها جوا من الفقه التشريعى ، القائم على الأوامر والنواهى – أى بالحقوق والواجبات – وجوا من الآداب الإجتماعية الدقيقة المتعلقة بقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوا من البحث الصحيح والإجتهاد المخلص (١) .

وقد ذكر الإمام الغزالى ، فى طلب العلم وفضيلة التعلم (٢) .

قول الله تعالى ﴿اسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

---

(١) محمد الغزالى "خلق المسلم" صـ ٢٦ .
(٢) إحياء علوم الدين الجزء الأول ، صـ ٩ .
(٣) سورة الأنبياء ٧ .

وأهل الذكر هم أهل العلم ، هم العلماء ... كما يرى الغزالى إن مهنة التعليم أشرف مهنة ، وأفضل صناعة ، يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة .

لذلك أعز الله العلماء وآثرهم بكرامته وفضله . وقد تأكدت أهمية العلم فى آيات بينات من كتاب الله الكريم ، تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه ، منها **قوله تعالى** :﴿ أَمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) **وقال تعالى**:﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٢) **وقال جل شانه**:﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٣) **وقال الخبير العليم** :﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾ (٤) ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾(٥) ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ (٦).**ثم قال العزيز الحكيم**:﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ (٧).

وقال رسول الله ﷺ :"**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**"(٨).

كما قال عليه الصلاة والسلام "من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع" (٩).

وكذلك قوله ﷺ :"**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" (١٠) .

---

(١) سورة الزمر ٩ .
(٢) سورة المجادلة ١١ .
(٣) سورة طه ١١٤ .
(٤) سورة العنكبوت ٤٣ .
(٥) سورة الأعراف ٥٢ .
(٦) سورة العنكبوت ٩ .
(٧) سورة الرحمن ٣ ، ٤ .
(٨) للترمذى عن أبى هريرة حسن
(٩) رواه الترمذى عن أنس حديث حسن .
(١٠) للبيهقى عن أنس حديث صحيح .

والتعليم فى نظر الغزالى هو : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المُسْعِدَة (١) .

والمراد بالعالم هو : الصالح التقى ، العالم بكتاب الله وسنه رسوله ﷺ. وإننا نعتقد أن الإسلام دين علم ونور لا دين جهل وظلمة (٢) .

والعلم الذى يُقْبِلُ المسلم عليه ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل لفهم المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلته بالوجود ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك ، وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه والإفادة من ذخائره المكنونه (٣) .

وبالعلم يُعبَدُ الله وبه يُوَّحد وبه يُمجَّد وبه توصل الأرحام ، وبه يُعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه يُلْيَهمه السعداء ويُحرمَهُ الأشقياء .

إن الدين كان ولم يزل وسيظل ملتقى العقول السليمة و الفطر القويمة ، ما أخطأ منهجه فكرًا ثاقبًا ، ولا ضل صراطه طبعًا نظيفًا .. وإن العلم مهما اتسعت آماده ، وامتدت أبعاده وترادفت كشوفه ، فلن يجىء إلا بما يصدق الوحى ، ويدعم الإيمان، ويمكن لهداية الرحمن (٤) ، لذلك قيل :"تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عباده ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقه بذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على

---

(١) احياء علوم الدين الجزء الأول صـ ١١ – ١٢ .
(٢) محمد عطيه الإبراشى "التربية الإسلامية وفلسفتها "
(٣) محمد العزالى "خلق المسلم" صـ ٢٦٩ .
(٤) محمد عطيه الابراشى "التربية الإسلامية وفلسفتها" .

الإيمان ، والمصّبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقوامًا ، فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يُقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تُقتفى آثارهم وتُرمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى صداقتهم وبأجنحتها تمسحهم لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلاء وأن العلم يُقتنى كما يقتنى المال ، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّم فهو الذى يُدعى عظيمًا فى ملكوت السماء ، فإنه كالشمس تُضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيب وهو طيب ، وإن من يُعَلِّم غيره ولا يعمل كالمِسَنّ الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، أو كالإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، أو ذبالة المصباح التى تُضىء لغيرها وهى تحترق(١) .

وفى هذا المعنى قال عيسى بن مريم عليه السلام "ويلكم يا عبيد الدنيا" ماذا يغنى عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ؟ كذلك لا يغنى عن العالم كثرة علمه إذا لم يعمل به ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل ، وما أكثر العلماء وليس كلهم يُنْتَفَعْ بما يعلم ... وإن العلم إذا لم يَعْمَل به صاحبه خرج من صدره وتخلى عنه وعطله ، وإن الزرع لا يُصلح إلا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل (٢).

ولذلك يفرض هذا المبدأ على كل مسلم ، أن يكون عالمًا فى أصول حقائق الدين الإسلامى ومبادئ التى جاءت بها شريعة الإسلام وأن يكون محيطًا بأمور

---

(١) احياء علوم الدين ، الجزء الأول (بيان وظائف المرشد المعلم صـ٤٩)

(٢) للحافظ ابى بكر البغدادى ، اقتضاء العلم والعمل نقلا عن كتاب "رسائل أربع" تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى صـ ١٩٦

الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادىء الأخلاق وأن يكون متفهما لأنظمة الإسلام ، وقواعد الشريعة حتى يُصبح عالما حكيما ، يضع الأشياء فى موضعها ، ويربى أبناءه على أصولها ومقتضاها ، ويسير فى طريق التربية الإسلامية على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدى محمد ﷺ .

والمسلم المؤمن لا يستحى أن يتعلم ما لا يعلمه ، ويستزيد مما يجهله ، ولا يستحى إذا سئل فى شىء لا يعلمه أن يقول لا أعلم، لأنه فى ذلك يُطَبِّق قول على رضى الله عنه : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحى إذا سئل مما لا يعلم أن يقول الله أعلم .

وأول العلم الصمت ، والثانى الإستماع ، والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره ، وفى القول المأثور " إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على القول " .

والإسلام دين يبنى كيانه على التعمق فى العلم ، والتزيد من الثقافة وأولو العلم هو قرناء الملائكة فى التصديق بعظمة الله والشهادة بعدالته .

وبالعلم يُعبد الله ، وبه يُوَحَّد ، وبه يُمَجَّد ، وبه تُوصل الأرحام ، وبه يُعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام والعمل تابعهُ يُلهَمَه السعداء ويُحَرم منه الأشقياء .

٤- الإسلام دين التقوى

الإسلام دين التقوى

إتق الله تكن أعبد الناس

إتق فعل أمر من اتقى ، ومن معانى اتق ويتقى وإتقى : البعد والحذر والخوف والحمايه والحفظ . تقول : إتق الله أى إخشه، وخف منه ، وتقال الكلمة ويُقصد منها التحذير من عقاب الله وعذابه لإنسان يُصِّر على معصيته أو ظلم لغيره (١) .

والتقوى فى الأصل – ومثلها الإتقاء – هى إتخاد الوقاية وهى حفظ الشىء مما يؤذيه ويضره ومنه قوله تعالى :﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (٢) . ولأن التقوى فيها معنى الوقاية . قال الإمام على رضى الله عنه:"كنا إذا إشتد البأس إتقينا برسول الله ﷺ ، أى جعلناه وقاية لنا من العدو على الشدة. وكذلك روى فى الحديث الشريف :"من عصى الله لم تقه من الله واقية"

والتقوى فى الشرع جعل الناس فى وقاية من عذاب الله تعالى وغضبه بإتباع أوامره ولزوم طاعته . وتجنب معصيته . والأصل فى التقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخشاه ربه تُقْيَة . وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات ، وقد قال أبو الدرداء:- "تمام التقوى . أن يتقى الله حتى يتقيه من مثقال درة . وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا ، ليكون حجابًا بينه وبين

(١) صديق ابو الحسن دراسات فى السنة النبوية الشريفة .
(٢) سورة الإنسان آية ١١

الحرام . فإن الله قد بين للعباد الذى يُصَيِّرهم إليه . **قال سبحانه وتعالى** :﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١) ، فلا نَحْقِرَنَّ شيئًا من الخير أن تفعله ، ولا شيئًا من الشر أن تقيه (٢) .

قال رسول الله ﷺ "**من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ، فيعمل بهن أو يعلِّم من يعمل بهن ؟ قلت أنا يا رسول الله . فأخذ بيدى وعد خمسا ، قال : إتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحْسِن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة تميت القلب**"(٣) .

لقد تضمن هذا الحديث وصايا خمس فيها تنظيم وتوضيح لعلاقة الإنسان بربه . يقول الرسول ﷺ "**إتق الله تكن أعبد الناس**" وفى هذه العبارة تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما حرم الله ، وليس بخاف على أحدد من اتقاء المحارم أداء الواجبات والفرائض، واجتناب المنهيات ، ومن قام بكليهما امتثالا لأمر ربه فقد أفلح وصار من أعبد الناس : قال تعالى فى الحديث القدسى (أنا أهل من اتقى فلا تجعل معى إله ، فمن إتقى أن يجعل معى إله فأنا أهل أن أغفر له)(٤) .

والتقوى حركة دافعة ثائرة على كل ما يُغضب الله ، فاتحة أمام الإنسان باب الترقى ، صاعدة به إلى مجالات الكمال ، غازية به مواطن العزة والكرامة وبالتقوى يُصنع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ويرفض الإتكالية والعجز، وينطلق فى الحياة شامخا بدينه معتزا بمبادئه ، يحرث الحياة بالخير، وينميها بالمعروف ، ويملؤها بالحب .

---

(١) سورة الزلزالة اية ٧ ، ٨ .
(٢) كامل سلامة النقص من روائع الأدب النبوى
(٣) رواه الترمذى وأحمد .
(٤) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

ولابد لفهم كلمة التقوى من ذكر الله ، ومعرفة صفاته وحسن الظن بالله والتوكل عليه ، وإظهار نِعَمِه ... إلى أن يكون كل عمل المرء لله وحده ، وليس الإيمان مجرد تصديق بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث فقط ، وإنما هو فوق ذلك إلتزام بأوامر الله ، وإنتهاء عن حرمات الله ، وخوف من حدود الله ، وحرص على صون حرمات الناس ، وحمايتها من الإعتداء عليها ، وليعلم الناس أن فى إتقاء المحارم سعادة ما بعدها سعادة ، وقربا من الله إلى أبعد الحدود ، فمن إتق المحارم كان أعبد الناس (١) .

والله سبحانه وتعالى إذا كان يريد من أعمالنا وعباداتنا أن تجىء معبرة عن توحيده الحق ، فليس ذلك لأنها تزيد فى إجلاله أو فى ملكه شيئًا ، بل لأنها تزيد فى إيماننا وترفع فى مقدرتنا على السيادة الفاضلة على أنفسنا وعلى الحياة ومن أجل هذا كان توحيد الله فيما نعمل ونعبد ، أى كان الإخلاص لوجهه الكريم ضرورة أكثر من العمل ومن العبادة ، لأن هذا الإخلاص هو الذى يغير أنفسنا إلى الأفضل ، وهو الذى يهب أرواحنا تلك السيادة المرجوة ، ومن المعلوم بداهة أن الله غنى عن العالمين ، وأنه جل جلاله ، وعز جلاله لا يناله عمل أو عبادة ، وإنما كما ذكر القرآن الكريم ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ (٢) وهو فَرِحٌ بتقوانا ، لا لأنها رصيد له .. بل رصيد لنا ومعراج لتفوقنا الروحى الذى يريده الله منا ، لصالحنا نحن

(١) صديق أبو حسن "دراسات فى السنه النبويه" .
(٢) سورة الحج : آية ٣٧ .

ولحساب مصيرنا .. من أجل هذا لم يكن يعنيه من العمل مهما عَظُمَ وضَخُمْ إلا روحه .. إلا هذا التيار الخفى الذى يكشف عن مدى توحيدنا الله فيما نعمل ونعبد (١) .

وقال رسول الله ﷺ "**الإسلام علانية والإيمان فى القلب**"(٢) ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات : التقوى ها هنا . فأساس الصلاح فى الإنسان هو طهارة القلب وسلامته من الآفات . لأن القلب هو مبعث الحركة الوجدانية فى الإنسان . فإذا استضاء القلب بنور الإيمان . وامتلأ بعواطف الخير والبر . فاضت أضواؤه على الأعضاء والحواس فوجهتها إلى العمل الصالح . وصانتها من السيئات والمحرمات . ولذلك قيل "القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده" **والله تعالى يقول** :﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٣) وقال ﷺ :(**اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع**) (٤) وقال ﷺ (**اللهم إنى أسألك .. لسانا صادقا وقلبا سليمًا**) (٥) ونتيجة لخشوع القلب واستقامته لا تتحرك الأعضاء إلى عمل إلا إذا إطمأن القلب إليه . وعرف أنه خير . فكيف نُصْلِحُ قلوبنا حتى تكون سليمة نظيفة لا تأمرنا إلا بخير ؟

إن أعظم ما يَصْلُحْ به القلب وتنشط به الأعضاء فى طاعة الله هو العلم الذى تقع به معرفة الله بصفاته . ومراقبته فى كل حال والخوف منه ورجاؤه . والرغبة فيما عنده والرهبه مما لديه . والاعتماد عليه فى كل الأمور .. وأعظم ما يُفسد

---

(١) خالد محمد خالد "كما تحدث الرسول" دار العلم للملايين .
(٢) لابن أبى شيبه عن أنس
(٣) سورة الشعراء : آية ٨٨ : ٨٩ .
(٤) رواه عن أبى عمرو كل من الترمذى والنسائى .
(٥) الترمذى والنسائى كلاهما عن أشداد بن أوس .

القلب ، هو الجهل الذى يقع به الإعتقاد الفاسد . والجرأة على الله بإنتهاك المحارم وفعل معاصيه ، والكبر والحسد ، والرياء وسوء الظن بالله، وبعباد الله ، واحتقار النعمة والإستخفاف بأوامر الله (١) لذلك أمرنا الله سبحانه بالتقوى كوظيفة للإيمان . يَتقَّومّ بها الإنسان فيتحول معه الإيمان من شعاع باهت ، وذبالة تتراقص إلى قوة بانية وطاقة محركة .

وبالتقوى يُصْنَع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ، ويرفض الإتكالية والعجز ، وينطلق فى الحياة شامخًا بدينه ، معتز بمبادئه يحرث الحياة بالخير ، وينميها بالمعروف ويملؤها بالحب . قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (٤). إن الله يأمرنا فى هذه الآيات بالتقوى لأنها الصورة العملية الراشدة للعقيدة ، يدين بها الإنسان .. فمفهومها مشرق معطاء لا تتراخى بصاحبها ، بل تنطلق به نحو الفضائل والمكرمات يجرسها صوت الدين ، ويحدوها نداء رب العالمين . فتفتح له باب الإحسان ، بل إن شئت فقل : إنها تحفزه ليَثِبَ إلى قمته ، ليفرغ فى ميدانه مواهب الإبداع الربانى ، ويضع الحياة على أعتاب الإيمان ، فى تلاحم قادر وانصهار بناء .

---

(١) كامل سلامة النفس "من روائع الأدب النبوى" .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .
(٣) سورة لقمان : آية ٣٣ .
(٤) سورة النحل : آية ١٢٨ .

"قال وهب بن منبه :"الإيمان عريان ولباسه التقوى" وقال لقمان لابنه :"يا بنى إتخذ تقوى الله تأتك الأرياح من غير بضاعة"، والتقوى إمتثال الأوامر واجتناب المناهى ، والورع ، وترك ما يُخْشى ضرره فى الآخرة ، وقد قرن الله التقوى مع الصلاة فى مواضع من كتابه ، وتكون التقوى فى الظاهر والباطن : ففى الظاهر تقوى العين : غضها عن الحرام ، وحفظها عما لا تُؤْمَنْ عاقبته ، وتقوى اللسان : حفظه عن فضول الكلام ، والمُتقى ينظر فى الكلام قبل النطق به ويترك مالا فائدة فيه (١) . وقال على كرم الله وجهه التقوى هى الخوف من الجليل والرضى بالقليل والعمل بما فى التنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، ثم إن التقوى الظاهرة تخرج بصاحبها إلى التقوى الباطنه وهى مراقبة الله عز وجل .

قال رسول الله ﷺ :**"يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا فى الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم"** (٢) وقال ﷺ :**"اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية"** (٣) وقال ﷺ :**"من إتقى الله أعاب الله منه كل شىء ومن لم يتق الله أعابه من كل شىء"** (٤) وقال ﷺ : **"من اتقى الله وقاه كل شىء"** (٥) .

والمتقون مسددون فى طريقهم لأن أنفسهم موصوله بالحق ، فلو عرض لها عارض .. من الشيطان تلوذ عائذة إلى مقرها فلا تنفصل عن عهدها القديم ، وفاء وولاء ، فإن لها من دقة الكشف وجلاء البصيرة ما يُثبتها على المنهج ويُرشدها إلى الغاية : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

---

(١) لابن ماجه عن جابر .
(٢) لابن النجار عن ابن عمرو حديث حسن .
(٣) رواه الحكيم عن وائله حديث ضعيف .
(٤) لابن النجار عن ابن عباس ، حديث ضعيف .
(٥) لابن النجار عن ابن عباس حديث ضعيف

مُبْصِرُونَ﴾ [1] والمتقون لا مندوحة لهم ، من أن ينسجوا على هذا المنوال ، ويترسموا تلك الخطى .. فى رحلة لا ينجح فيها إلا العاملون ، الذين يدعمون بهذا السلوك مفهوم الإيمان ، ويزيلون عنه غشاوة طمست بريقه واخفت سناه ، وبالتقوى يُصْنَع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل .

وموجبات التقوى ستة عشر [2] :-

(١) الهدى لقوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين﴾ .

(٢) والنصرة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [3] .

(٣) والولاية لقوله تعالى :﴿ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [4] .

(٤) والمحبة لقوله تعالى :﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .[5]

(٥) ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات : لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [6].

(٦) والمخرج من الهم ، وجلب الرزق لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[7].

(٧) وتيسير الأمور ، لقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [8] .

(٨) وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله تعالى :﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [9] .

---

(1) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(2) محمد عثمان القاضى :"الحديقة الياتعة والبروق اللامعة"
(3) سورة النحل : آية ١٢٨ .
(4) سورة الجاثية : آية ١٩ .
(5) سورة التوبة : آة ٤ .
(6) سورة الأنفال : آية ٢٩ .
(7) سورة الطلاق : آية ٢ ، ٣ .
(8) سورة الطلاق : آية ٤ .
(9) سورة الطلاق : آية ٥ .

(٩) وقبول الأعمال ، لقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

(١٠) والفلاح لقوله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

(١١) والبشرى ، لقوله تعالى :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[3] .

(١٢) ودخول الجنة لقوله تعالى :﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[4].

(١٣) والنجاة من النار ، لقوله تعالى :﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[5] .

(١٤) والفوز بحدائق أعناب وكواعب أتراب لقوله تعالى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[6] .

(١٥) والنجاة من السوء والحزن ، لقوله تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[7] .

ولذلك فإن هذا المبدأ الإسلامى العظيم يحتاج إلى الصبر والمجاهدة لأن المسلم التقى يحتاج إلى جرعات وجرعات من الصبر الحازم ، والعزم الصارم حتى يتخطى العقبات الكئاء ، ويعبر جسور المشقات ليحظى بعد ذلك بالراحة الكبرى راحة الأنس بالله ، والإحتماء به والحياة فى كنفه ، ولن تتم تلك الراحة الكبرى إلا على جسر من التعب وجرعة كبيرة من الصبر ، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

---

(1) سورة المائدة : آية ٢٧ .
(2) سورة آل عمران : آية ١٣٠ .
(3) سورة يونس : آية ٦٣ : ٦٤ .
(4) سورة القلم : آية ٣٤ .
(5) سورة مريم : آية ٧٢ .
(6) سورة النبأ : آية ٣١ .
(7) سورة الزمر : آية ٦١ .

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] وبهذه التقوى العزيزة ساد أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وكتبوا للتاريخ الإنسانى صفحات من الطهر والنقاء ، لا تبلى ولا تبيد وكونوا أمة عظيمة سادت العالم بأسره ، وكانت خير أمة أُخرجت للناس .

وإننا فى مسيس الحاجة اليوم إلى أن نسمو بأبصارنا إلى الذُرَى العالية ، لنملأ عيوننا بمشهد من نزل عليه القرآن ، الذى هو صورة جياشة موارة بالحركة ، ساعية بالأسوة ، وفى الوقت ذاته نرمق نموذجًا إنسانيًا عاليا ، عاش أمامنا فى دروب الحياة محققًا مضمون الإيمان الرفيع فى عبادة تصله بالله ، وإخلاص يقيمه على الطريق ، وإسلام متوثب جرىء يحميه من التقلبات ويقيه من العثرات.

تلكم سمات التقوى فى الإسلام حركة الجسور لصنع المسلم الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ويرفض الإتكاليه والعجز فى الحياة شامخًا بدينه معتزا بمبادئه ، يحرث الحياة بالخير وينميها بالمعروف ، ويملأها بالحب .

---

(1) سورة الزمر : آية ١٠ .

٥- الإسلام دين الحرية

الإسلام دين الحرية

الإسلام يحترم حرية العقل والعقيدة والضمير

مبدأ الحرية من أهم المبادىء الإسلامية التى جاءت بها الشريعة وقررتها فى أروع مظاهرها ، فقررت الحرية الدينية ، والحرية السياسية والحرية المدنية ، وحرية الرأى والفكر وحرية الإرادة ... وكل هذه الحريات ما هى الامكونات للحرية الإنسانية التى هى كُلٌ لا يتجزأ . وأى مساس بجانب منها عدوان على شرف الإنسان ، وتعطيل لمسؤوليته ، فحرية التفكير جاءت بها الشريعة الإسلامية لتحرر العقل من الأوهام وتخلصه من الإنقياد الأعمى للعادات والتقاليد ، وتُعيد إليه نشاطه وفاعليته حتى يُصبح قادرا على أداء وظيفته : فوظيفة العقل أن يفكر ، كما أن وظيفة العين أن تُبصر ، والشريعة الإسلامية تدعو إلى نبذ كل شىء لا يقبله العقل وتحث على التفكير الدائم فى كل شىء حتى لا يرضى الإنسان بشىء يأباه العقل ويؤمن بكل ما يؤمن به العقل ، والإنسان الذى يعيش بعقل معطل التفكير كمن يسير على قدم واحدة ، أو كمن يعمل بأيد مغلولة ، أو كمن يعيش بأعين مغمضة وكل ذلك ضد طبيعة الأشياء ، ويستحيل قبول ذلك فى دين شارته الأولى الفطرة والإستقامة مع طبيعة الأشياء .

والنظرة الأولى فى القرآن الكريم تورث يقينا جازما بأن الإسلام يبنى الإعتقاد الصحيح على النظر فى الكون .. وأنه يجعل اليقين الحق ثمرة التفكير الحق ، كما يجعل الكفر ثمرة عقل أصابته آفة سلبت نوره أو ضلت مسيرته (١) .

---

(١) محمد الغزالى حقوق الانسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة .

وقد قامت الدعوة الإسلامية نفسها على أساس العقل . فها هو ذا القرآن الكريم يعتمد فى إثبات وجود الله ، ويعتمد فى إقناع الناس بالإسلام . ويعتمد فى حملهم على الإيمان بالله ورسله وكتبه . يعتمد القرآن الكريم فى ذلك كله أساسيًا على استثارة تفكير الناس ، وإيقاظ عقولهم ، ويدعوهم بشتى الوسائل إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى أنفسهم وفى غير ذلك من المخلوقات. ويدعوهم إلى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم ، وما تسمعه آذانهم ، ليصلوا من وراء ذلك كله إلى معرفة الخلق ، وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل (١) .

وتأكيدا لأهمية هذا المبدأ الإسلامى الهام نص القرآن الكريم فى صور كثيرة على استخدام العقل وتحرير الفكر ، قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) وقوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ...﴾(٣) وقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ...﴾(٤) وقوله تعالى﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾(٥) وقوله تعالى :"﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(٦) وليست الحرية منحه أو عطاء يقصد بها

(١) عبد القادر عودة :"التشريع الجنائى الإسلامى"
(٢) سورة البقرة ١٦٤ .
(٣) سورة سبأ ٤٦ .
(٤) سورة الروم ٨ .
(٥) سورة يونس ١٠١ .
(٦) سورة الطارق ٥-٧ .

الفوضى والتحلل ، وإنما هى فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهدفها بناء الشخصية الإسلامية التى تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانتها بين الجماعات الإسلامية بحيث تُشعِرَ كل إنسان فيهم بانتمائه إليها فيخلص لها ، ويعانى فى سبيل بنائها وبقائها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس .

بالإضافة إلى الآيات السابقة التى تؤكد أهمية الحرية الفكرية والتى تنص على استخدام العقل قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١) وكلها تؤكد ضرورة التفكير كوظيفة للعقل تساعد الإنسان على أن ينظر ويرى ويفكر ويتدبر ، لأن العقل هو الميزة الكبرى التى ميز بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فإذا لم يفكر وإذا لم يحسن استغلال عقله ، فسيُضل الطريق ويُصبح تائهًا يتخبط ، ينساق وراء الخرافات والأوهام ، ويقلد غيره فى عاداتهم وتقاليدهم دون وعى أو فهم، بعد أن أصبح له عقل لا يفهم وعين لا تبصر وأذن لا تسمع وقلب لا يعقل ، وبذلك يتساوى مع الأنعام بل هو أضل سبيلا منهم "﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢) ثم انظر فى قوله تعالى "﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ

(١) سورة الغاشية ١٧-٢٠ .
(٢) سورة البقرة ١٧٠-١٧١

تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢) وقصة اهتداء إبراهيم إلى الحق – فيما تلاها علينا كتاب الله المحكم – بدأت بالحيرة والشك الذى هو مظهر لرشد العقل ، وحرية التفكير ومن الشك طول تأمله فى الكون وإصراره على طلب الهدى والتماس اليقين" (٣) .

قال تعالى :"﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾(٤) ثم لنظر إلى قوله تعالى :﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة الحج ٤٦

(٢) سورة الأعراف ١٧٩ .

(٣) عائشة عبد الرحمن "مقال فى الإنسان دراسة قرآنية" .

(٤) سورة الشعراء ٦٩-٧٨ .

(٥) سورة الأنعام ٧٦ – ٧٩ .

وبالرغم من اهتداء إبراهيم إلى فاطر السموات والأرض والمحى والمميت بعد أن طالت حيرته وتشككه – إلا أنه لم يطمئن قلبه ومارس حقه فى السؤال وأراد أن يعرف كيف يحيى الله الموتى وهو المصطفى للنبوه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١) .

وهكذا اطمئن قلبه ، واهتدى تفكيره وآمن عقله ، والمؤمن لا يكون مؤمنًا حقا إلا إذا فكر وتدبر وآمن عقله بما فكر . بعدها يؤمن إيمانًا قويًا صادقًا بما أقره العقل.

وليست الحرية منحة أو عطاء يُقصد بها الفوضى والتحلل ، وإنما فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدفها بناء الشخصية الإسلامية التى تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانها بين الجماعات الإسلامية بحيث يشعر كل إنسان منهم بانتمائه إليها فيُخلِصُ لها ويتفانى فى سبيل إنمائها وبنائها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس.

(١) سورة البقرة ٢٦٠

٦- الإسلام دين الإخلاص

الإسلام دين الإخلاص

الإخلاص في القول والعمل

الإخلاص روح الدين ولُب العبادة وأساس أى داع إلى الله ، فإذا غاب هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هناك ما يستحق الإحترام لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وقد يكون الإخلاص فى أعمال الحياة المعتادة شرطًا لإتقانها وتجويدها وضمان ثمرتها ، ولكن فى ميدان الدين لا يرتفع عمل أبدا ما لم تصحبه نية صالحة ، وما لم تقترن بابتغاء وجه الله وحده ، والإخلاص فريضة على كل عابد ، وهو فى محرابه الخاص ، يتعامل مع ربه فحسب(١) .

والإخلاص هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى ، وقال إبراهيم بن أدهم :"الإخلاص هو صدق النية مع الله" وقال آخر "الإخلاص فى العمل هو أن يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين"(٢) وقال الإمام الغزالى فى حقيقة الإخلاص :"إعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإنما صفى عن شوبه وتخلص عنه سُمِّىَ خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا"(٣) قال الله تعالى :"نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين" (٤) .

---

(١) محمد الغزالى "مع الله" .
(٢) محمود عوض :"طب القلوب" .
(٣) محمد الغزالى :"مختصر إحياء علوم الدين" .
(٤) سورة النحل ٦٦

من هذه التعريفات يتضح لنا أن مبدأ الإخلاص يُقصد به الإخلاص لله فى القول ، والإخلاص لله فى النية والإخلاص لله فى العمل .

والإخلاص فى القول والعمل هو من أسس الإيمان ومن مقتضيات الإسلام ولا يقبل الله العمل إلا به .

وجاء الأمر بالإخلاص جزما وتأكيدًا فى كتاب الله عز وجل، وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام (١) قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان :"**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**" .

وقال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه أبو داود النسائى :"**إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه**" وبذلك تؤكد الشريعة الإسلامية على كل مسلم أن يحرر النية ويَقْصَد بها وجه الله فى كل قول وفى كل عمل يقوم به ليكون عند الله من المقبولين ، وعند الناس من المحبوبين . وطريق الإخلاص شاق وصعب ويحتاج إلى تنقية القلب وتطهيره ، وتطهير النفس ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، والقليل من تنبه لذلك وهو من وفقه الله تعالى .

(١) عبد الله ناصح علوان "تربية الأولاد فى الإسلام" .
(٢) سورة البينه ٥.

ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى الهام يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين الذين يعيدون للإسلام سالف مجده ، وتُصبح الأمة الإسلامية من جديد خير أمة أُخرجت للناس .

ويُعَرّف الإخلاص بأنه "قصد العبد وجه الله عزوجل ، والأعمال إنما يصير معتدا بها إذا كانت بنية خالصة لوجه الله ، والنية هى قصد القلب لا قول اللسان .

والعمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضا بحيث لا يُراد به سوى رؤية الخلق لعمله لغرض دَنْيَوى ، كحالة المنافقين فى صلاتهم لقوله تعالى :﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ وقوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾(١) ، ووصف الله الكفار بالرياء المحض قال تعالى :﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾(٢) ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتى يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبه " (٣).

وروى الإمام أحمد أنه قال : أصول الإسلام ثلاث أحاديث : حديث إنما الأعمال بالنيات ، وحديث عائشه من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو ردّ ، وحديث النعمان : إن الحلال بين والحرام بين ، فإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات

---

(١) سورة الماعة : أية ٦ ، ٧

(٢) سورة الأنفال : أية ٤٧

(٣) انظر شرح الأربعين لابن رجب .

وترك المحظورات ، والتوقف عن الشبهات ، وهذا كله تضمنه حديث النعمان . وإنما يتم ذلك بأمرين : أحدهما أن يكون العمل فى ظاهره على موافقة السنة، وهو الذى تضمنه حديث عائشة ، والثانى أن يكون العمل فى باطنه يقصد به وجه الله وهو الذى تضمنه حديث عمر "إنما الأعمال بالنيات" ، فحديث عمر ميزان للأعمال الباطنة وحديث عائشة ميزان للأعمال الظاهرة .

وقال الفضل فى **قول الله تعالى** : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (١) قال أخلصه وأصوبه ، وقال إن العمل إذا كان خالصا ولن يكن صوابا لم يُقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل حتى يكون خالصا وصوابا ، قال والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة وقد دل على كلام الفضل قوله تعالى :"فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا لا يشرك بعبادة ربه أحدا" فيخلص وأن العمل الصالح ما كان خالصا لله متابعا للرسول ﷺ (٢) "وإن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت ، فيجعلانه عبادة متقبلة ، وإن خُبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصى شائنه فلا ينال المرء منها بعد التعب فى أدائها إلا الفشل والخسارة" (٣) فطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى تنقية القلب وتطهير النفس ونقاء الضمير بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا والقليل من ينتبه لذلك وهم من وفقهم الله تعالى .

---

(١) سورة الملك . آية ٢

(٢) محمد عثمان القاضى : الحديقة الباقعة والبروق اللامعة .

(٣) محمد الغزالى "خلق المسلم" .

ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى المهم يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها حتى يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين الذين يعيدون للإسلام سالف مجده ، وتصبح خير أمة أخرجت للناس .

إن الطريقة التى يتحصل بها العبد على الإخلاص فى عمله هى كسر حظوظ النفس ، وقطع الطمع عن الدنيا ، والتجرد للآخرة. بحيث يغلب ذلك على قلبه عندما يتيسر الإخلاص . لأنه لا يرى أمامه إلا الله تعالى ، وما سواه فهو باطل ، فيخلص وتخلص أعماله يتعب فيها العبد ويظن أنها خالصة لوجه الله ، ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى طريق الآفة فيها ، كما حكى عن بعضهم أنه قال : " قضيت صلاة ثلاثين سنه كنت صليتها فى المسجد فى الصف الأول ، وقد تأخرت يوماً لعذر ، فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس إذ رأونى فى الصف الثانى فعرفت أنى كنت مسروراً بنظر الناس إلى وأنا فى الصف الأول وكان قلبى يستريح لذلك من حيث لا أشعر ، وبذلك ضاع ثواب الثلاثين عاماً(١) .

فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق ، يغرق فيه الكثير إلا النادر وهو المستثنى فى قوله تعالى :﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(٢).

أما فضيلة الإخلاص فقد قال الله تعالى :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣) وقال جل شأنه :﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) وقال مصعب بن سعد عن أبيه ، قال النبى "ﷺ" وقال علىٌ كرم الله وجهه " لا تهتموا لقلة

(١) محمود عوض " طلب القلوب " .
(٢) سورة الحجر : آية ٤٠
(٣) سورة البينة . آية ٥ .
(٤) سورة النساء . آية ١٤٦ .

العمل واهتموا للقبول ، فإن النبيﷺ قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل ، وقال : أول من يُسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت ؟ فيقول يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ، ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن تقول الناس فلان جواد ، ألا فقد قيل ذلك ، ورجل قُتل فى سبيل الله تعالى ، فيقول الله تعالى ماذا صنعت ؟ فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن تقول الناس فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك ، قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على فخذى ، وقال : " **يا أبا هريرة أولئك أول خلق تُسَعر نار جهنم بهم يوم القيامة**"(١).

إن مبدأ الإخلاص حبة من حبات عقد ثمين هو عقد المبادئ الإسلامية الذى يزين صدر المجتمعات الإسلامية فيزيد من قيمتها ويرفع شأنها ، وطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى تنقية القلب وتطهير النفس ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً . والقليل من يتنبه لذلك وهم من وفقهم الله تعالى ، ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى الهام يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها وبذلك يصير من عباده المخلصين الذين يعيدون للإسلام سابق مجده وتُصبح الأمة الإسلامية من جديد خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) محمود عوض " طلب القلوب " .

٧- الإسلام دين الشورى

الإسلام دين الشورى

الشورى هى أصل من أصول الحياة فى الإسلام وهى أوسع مدى من دائرة الحكم . لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة (١) .

والشورى إذن إجتماعية فى نظر الإسلام إليها ، وهى ضرورة للحفاظ على الترابط والتضامن . وضرورة كذلك للحرص على بقاء المجتمع كمجتمع . وضرورة ثالثة للالتزام بالطاعة .

ولقد وضع الإسلام مبدأ الشورى فى وصف إقامة الصلاة والإنفاق فى سبيل الله . وأثرهما فى صفاء النفوس وترابطها ، وجعل مباشرتها وأثر هذه المباشرة على تماسك المجتمع . كأثر تجنب الإثم والفواحش على بقائه وقوته (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾(٣).

وقد روى عن أبى هريرة ﷺ قال : " **لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ، وقد قيل : أن الله أمر بها نبيه ﷺ لتأليف قلوب الصحابة وليُقتدى**

---

(١) سيد قطب . العدالة الاجتماعية فى الاسلام

(٢) محمد البهى . الدين والدولة .

(٣) سورة الشورى (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨)

به من بعده ، وليستخرج منهم الرأى فيما لم ينزل فيه وحى من أمر الحروب ، والأمور الجزئية ... وغير ذلك . فغيره أولى بالمشورة(١) .

وحيث أن التربية الإسلامية تحرص على تدعيم الترابط والتضامن بين أفراد المجتمع ، وتحرص على سلامة أبنائه وإنمائه فإن مبدأ الشورى يُعَدُّ من أعظم المبادئ الإنسانية التى نعتمد عليها فى تحقيق أهدافها الإسلامية .

وعندما يُمارس المربى الإسلامى مبدأ الشورى عندما يخطط للتنشئة والتربية الإسلامية فإنه يجعل من نفسه الركن الأول من أركان المشور وهو "المشير" صاحب الرأى والتفكير ، بعد أن يتم إعداده إعداداً إسلامياً بحيث يُصبح صالحاً لتقديم المشورة لمن يطلبها ، بل فى أحيان كثيرة يتقدم هو بالمشورة حتى لو لم تطلب منه ، وذلك عندما يرى أن هناك أخطارا محققه تهدد الفرد أو المجتمع وبذلك يُصبح دوره كمشير معروضاً ومفروضاً فى آن واحد ، مادام هدفه صالح الفرد والمجتمع .

والتربية الإسلامية عندما تُمارِس مبدأ الشورى كأحد المبادئ الإسلامية العظيمة وصولا إلى نجاح المربى فى ممارسة العلاج الإسلامى ، تسعى من وراء ممارسته وتطبيقه إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العظيمة التى حققها رسول الله ﷺ ، والتى يسعى الدين الإسلامى جاهدا إلى تحقيها .

إن رسول الله ﷺ ، عندما أمر بتطبيق مبدأ الشورى وقام بممارسته ، وهو النبى العظيم الذى أدبه ربه وأحسن تأديبه ، وعلمه وأحسن تعليمه ، كان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الإجتماعية مثل : الحفاظ على الترابط

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية

والتضامن بين أفراد المجتمع ، ولمسوا فوائدها فى اختفاء الاستبداد والتحكم ، وحل محله التعاون ومجموعه من الأهداف التربوية تمثلت فى تربية المسلمين على المشاورة ، واختفى البغى والظلم ، وانتشر العدل والحق والإحسان ، حتى صارت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس.

وحقق كذلك مجموعة من الأهداف العقلية تمثلت فى التقاء العقول ، وتجميع الآراء ، وارتفاع مستوى التفكير واستخراج الرأى السليم وتعديل الرأى الخاطئ ، واستنباط أفكار جديدة وآراء سديدة .

أما بالنسبة للأهداف النفسية فقد حققها الرسول ﷺ عندما مارس الشورى بنفسه مع أصحابه فحقق تنمية الشعور بالذات وتنمية الثقة بالنفس ، وبذلك يشعر كل فرد فى المجتمع الإسلامى بالعزة والكرامة ، والأمن والطمأنينة وبذلك نمت شخصياتهم وأصبح كل فرد عضوا صالحا فى مجتمع صالح .

وعلى كل مربى يحاول تحقيق هذه الأهداف من خلال إشتراك المربين فى كل خطوات التربية ، يشير عليهم أحياناً ويستشيرهم أحياناً أخرى وبذلك ينتشر الحب والود ، ويجمع الإسلام بين القلوب ، ويثق المستشير فيمن يشير عليه ، فيعم الترابط والتضامن والتعاون ، وتقوى شبكة العلاقات الإجتماعية ، وبذلك يتحقق الهدف التربوى الإجتماعى .

والهدف التربوى يتمثل فى أن المربى يجعل من نفسه قدوة صالحة لكل من يقوم بتربيتهم والتأثير فيهم حتى يخرجوا من تفاعلهم معه عقلياً بنضج أفكارهم ، ونمو شخصياتهم . وبذلك يُصبح كل منهم عضوا صالحا فى مجتمعه قادراً على

التوافق فيه بعد أن مارس العديد من الخبرات البناءة مع المربى بما يساعده ويعينه على أداء أدواره الإجتماعية التربوية .

أما الأهداف العقلية التى يحققها مبدأ الشورى تتمثل أن المربى يسعى لتحقيق تلك الأهداف مع من يربى فيتفاعل عقله مع عقولهم ، ورأيه مع آرائهم وبذلك يرتفع مستوى تفكرهم فتتعدل أفكارهم الخاطئة ، ويُدَرَّبُون على التفكير السليم ، من خلال البرامج والأنشطة التى يحتويها العلاج الإسلامى .

والأخصائى المربى الذى يُمارس هذا المبدأ الإسلامى العظيم يهدف إلى تنمية الفرد ، وتقوية ثقته بنفسه ، بعد أن كان يئن تحت وطأة الضغوط الداخلية النابعة من ذاته ، التى جعلته ذليلاً مهانا ، مضطربا خائفاً ، فلا عجب أن تشارك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الشورى فى نجاح التربية الإسلامية فى علاج اضرابات الشخصية ، بما يؤدى إلى تنمية الشعور بالذات ، والثقة بالنفس ، وعندما يتحول الخوف إلى أمن ، والاضطراب إلى الطمأنينة ، والمهانة إلى العزة والكرامة .

وخير مثال على ذلك ما شاهدناه فى المجتمع الإسلامى الذى بناه رسول اللهﷺ ، ذلك المجتمع الذى لم يكن فيه ذليلاً أو مهاناً، ولا خائفاً أو مضطربا ، بل كان كل فرد فيه آمنا مطمئناً ، عزيزاً ، قويا واثقاً بنفسه.

وذلك ما جعل المجتمع الإسلامى الأول مجتمعا عظيما ، لأن المجتمع ما هو إلا مجموع أفراد .

٨- الإسلام دين المساواة

الإسلام دين المساواة

لقد حرص الإسلام على أن تستند المساواة إلى تحرر وجداني عميق ، كما تستند إلى التشريع والتنفيذ ، فإن الشعور بالمساواة يكون قوياً عند القوى وعند الضعيف ، إنها تنمى فى الضعيف تسامحاً ، وفى القوى تواضعاً، وتلقى فى النفس بالعقيدة فى الله ، وفى وحدة الأمة وتكافلها (١) ، ولما لمبدأ المساواة من أهمية بالغة فى تحقيق العدالة الإجتماعية كاملة ، جاءت الشريعة الإسلامية من وقت نزولها بنصوص صريحة ، تقرر المساواة وتفرضها فرضاً ، فالقرآن يقررها ويفرضها على الناس جميعاً فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢) وقد فضل الله سبحانه وتعالى بعضهم على بعض بالتقوى ، وكثرة التقوى ليست بحكم أحد من الناس ، وإنما بعلم الله ذاته وخبرته (٣) . ورسول الله يؤكد هذا المعنى فى قوله : الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

والتربية الإسلامية لكى تعتمد على العلاج الإسلامى للمشكلات الإجتماعية فإنها تلتزم بمبدأ المساواة وتمارسه مع كل الناس الذين يتعاملون مع المربى أو القائد الذى يعاملهم جميعاً على قدم المساواة ، ويتقبلهم جميعاً كما خلقهم الله ، لا كما يجب أن يكونوا ، فقد خلقهم سواسية كأسنان المشط ، لذلك يحترم كل واحد

(١) سيد قطب العدالة الإجتماعية فى الإسلام .
(٢) سورة الحجرات ١٣
(٣) محمد البهى . الدين والدولة

منهم كنفس بشرية ، وكقيمة إنسانية ، باعتبارها أثمن شئ فى الوجود ، كما يقدر الإنسان وكرامته ، باعتباره مخلوقاً آدمياً له كرامته وفرديته ، التى تميزه عن غيره من الناس . وليس معنى المساواة إلغاء الفروق الفردية بل لكل فرد قدراته ، وصفاته الشخصية ، التى خلقه الله بها لتميزه عن الآخرين .

ومبدأ المساواة كمبدأ إسلامى هام يُلْزِم الأخصائى المربى أو القائد بإحترام كل فرد من الأفراد والاهتمام به ، وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدته ، والمحافظة على كرامته ، وقيمته الإنسانية، بغض النظر عن كونه غنياً أم فقيراً ، سليما أم مريضاً ، جميلاً أم قبيحاً ، فكل ذلك ليس له تأثير على من يطبق مبدأ المساواة واحترام المربى أو القائد لمن يؤثر فيهم بهذه الصورة يشبع لديهم عاطفة اعتبار الذات، ويشعر بأنه إنسان له كرامته ، وله كيانه وله قيمته وبذلك يتمكن من امتصاص مشاعره السلبيه ، كالقلق والدونية، والذلة والمهانة التى ينئن من قسوة ضغوطها ، وهذه المشاعر تُعتبر من أهم العقبات التى تعترض جهود المربى .

إن هذا المربى الذى إتسع قلبه لحب كل أبناءه من أفراد أو جماعات وأثر فيهم وأحبهم حباً صادقاً واحترمهم وتقبلهم بكل عيوبهم وجميع نوعياتهم ، ما هو إلا بشر كبقية الناس ينفعل مثلهم، ويثور ويغضب ، ويُحِب ويكره ، ويَمَلّ ويتعب ولكنه مختلفاً عنهم فى مطالب مهمته ، والتزامه بمبادئه الإسلامية التى يُعَدُّ لها ويُدرب على ممارستها ، والتى تجعله عندما ينفعل كبقية البشر يكون حليماً صابراً متحكما فى انفعالاته ومشاعره ، بحيث لا يظهر ضيقة أو تعبه أو غضبه أو مله لمن

يُقدم إليهم المساعدة ، بل يُقَدِّر مشاعر الآخرين السلبية ، ومواقفهم وانفعالاتهم ، فلا يثور لثورتهم ، ولا يضيق بانفعالهم ، ولا يتحامل عليهم بل يتقبلهم كما خلقهم الله .

وعندما يمارس المعالج الاسلامى سواء كان مربى أو قائد أو طبيب أو أخصائى إجتماعى كل فى مكانه العلاج الإسلامى ويلتزم بمبادئه الإسلامية وعلى رأسها مبدأ المساواة فإنه يتخذ من القرآن دستوره ، ومن الرسول مرشده ومعلمه فيهتدى بهديه ، ويلتزم بسنته ويجعله قدوته ، وأسوته العظيمة فقد مارس الرسولﷺ وطبق كل هذه المبادئ الإسلامية ، فتآخى بين المسلمين جميعاً ونشر المودة والمحبة بينهم حتى صار المرء يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثره عليه.

وعندما تسود المحبه والأخوة الصادقة ، وتقوى أخوة الإسلام ، سيعود إليه سالف مجده ، وسابق عظمته وستعود الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

٩- الإسلام دين الإخاء

الإسلام دين الإخاء

إن مبدأ الإخاء أحد المبادئ الإسلامية بخصائصها الإنسانية التى تهدف إلى بناء الإنسان ، وإنماء شخصيته ، وتدعيم كرامته وتقدير إنسانيته التى هى أثمن شئ فى الوجود .

قال تعالى﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) **وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**(٢).

وقال رسول الله ﷺ " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربة فَرَّجَ الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**".

ومن أجل هذا الهدف العظيم كان لابد على من يمارس دور العلاج الاسلامى كنظام إجتماعى يتساند وظيفياً مع النظم الإجتماعية الأخرى ، ويتعاون معها فى إنماء الشخصيات ، وبناء المجتمعات حتى تعود للأمة الإسلامية قوتها وعظمتها ، التى تعتمد بدرجة كبيرة على سلامة وقوة أفرادها .

ولذلك كان لابد أن تعدل التربية مسيرتها وتغير أساليبها الفنية المستوردة وتعود إلى الأساليب الإسلامية ، لتأخذ مكانها على الطريق السليم حتى تصبح قادرة على بناء المجتمعات وإنماء الشخصيات ، بأساليب علاجية ومبادئ نابعة من دينها ومجتمعها الإسلامية .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٣

وكما يمارس المربى المبادئ الإسلامية السابقة يمارس مبدأ الإخاء ، ويعتمد عليه فى بناء علاقة قوية متينة مع من هم تحت تأثيره ومن يقوم بتربيتهم لتساعده وتمكنه من التأثير فيهم بحيث يُصبح قادراً على تغييرهم ، وخاصة مع الأفراد الذين يلجأون إليه طالبين العون المساعدة ، بعد أن مروا بخبرات سيئة مع الناس الذين تعاملوا معهم فهم لم يتذوقوا طعم الإخوة فى الإسلام ولم يلمسوا قيمتها الإنسانية ، ولذلك شُحِنُوا بشحنة كبيرة من المشاعر السلبية التى جعلتهم ينفرون من الناس وينظرون إليهم كأعداء يكرهونهم لا كإخوان يحبونهم .

إن الإخوة فى الإسلام مبدأ عظيم يستغله المربى الذى يمارس التربية الإسلامية لِيُشبِعَ حاجة الأفراد إلى التقدير لامتصاص مشاعرهم السلبية ، من خلال تشجيعهم وتقديره لهم اثناء تفاعلهم معه ، فيستبدل مشاعرهم السلبية بأخرى إيجابية ، فيحل الحب مكان الكراهية ، والإنتماء مكان النفور والعداء ، ويستبدل اليأس بالأمل ، وبغير التواكل والبطالة إلى عمل وإنتاج .

ولذلك فإن العلاج الإسلامى للمشكلات الإجتماعية يستثمر تلك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الإخاء .

ومن أجل ذلك إتجه البلحثون المسلمون إلى العودة إلى الدين بعد أن زادت المشكلات الإجتماعية وانهارت العلاقات الإنسانية ، فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية حيث يصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه ، وظهر لنا واضحاً إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة واختلقوا ما بين عبادة العقل ، وعبادة الجسم ،وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الاقتصادية ، والحتمية الإجتماعية إلى آخر هذه الآلهه المزعومة التى يعبدها الناس فى هذا الزمن العليل ليهربوا بها من عبادة الله !! ...

فكانت الشقوة التى تُفْسِد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يُدمر الأفراد والجماعات ، وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية في حماه ، وتجد التوجه الراشد في منهجه للحياة .

والعلاج الإسلامي هو المنهج الرباني المناسب للحياة بما فيه من وقاية وعلاج وهو الذي يقدم الأساليب العلاجية المناسبة الفعالة لكل المشكلات ، وفيه النجاة والخلاص فهو المنهج الرباني لتقويم البشرية ، لِتَرْشُد وتتوازن وتسلك رسالتها المستقيمة في الحياة .

والدين الاسلامي يقول إنه من الممكن تبديل النفس البشرية وتغييرها جوهرياً بإمكانية إخراجها من الظلام إلى النور ، ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمال الخلقي ، وذلك عن طريق المجاهد والرياضة النفسية .

والإسلام لا يغفل أبداً واقع الطبيعة البشرية ، وما رُكِّب فيها من تنوع الطاقات والإتجاهات والمستويات ، لذلك لا يُلْزم الناس بصورة مثالية معينة مصبوبة في قالب لا تتعداه ، إنما هو يطلب من كُل إنسان إن يبلغ حدود الكمال الممكن له بحسب استعداداته وطاقاته واتجاهاته ، وكل ما يفرضه الدين الإسلامي هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص في حدود الإطار المثالي العام ، وهنا تظهر واقعية الإسلام في علاج النفس البشرية .

والعلاج الإسلامي بأساليبه المختلفة وبمبادئه الأساسية التي تم عرضها هي محاولة جادة للتأثير في تلك النفس البشرية بهدف تغييرها من نفس ضالة منحرفة إلى نفس مسلمة مؤمنة ، تؤدي واجبها في الأرض متوكلة على الله في السماء ، تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة تاركه النتيجة لله ، تسير مع الأقدار مؤمنه بأن لا يصيبها إلا ما كتب الله لها .

والطريق الواقعي لتنمية الإنسان ومعالجته هو رسم الصورة المتكاملة أمامه وتدريبه دائماً على الصعود إليها والدنو منها بكل أساليب العلاج الإسلامي وبكل جهد ممكن ومستطاع ، إن هذه المبادئ هي التي اعتمد عليها الدين الإسلامي فكانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .